

الدّرس السّابع

وظائف اللغة الطّبيعية

لقد نشرت حلقة براغ برنامجها لأوّل مرة سنة 1929 بالعدد الأوّل من المجلة التي صدرت باسم "حلقة براغ اللسانية"، وقد وردت فيها جملة الآراء التي أصبحت فيما بعد نظرية مخصوصة، ومن تلك الآراء الأساسية والتي تعيننا في هذه المحاضرة اعتبار اللغة نظاما يتكون من وسائل تعبيرية، وظيفتها تشجيع الفهم المتبادل، والمطلوب من اللسانيين في ضوء ذلك دراسة الوظيفة الفعلية لأحداث النطق، ويكون ذلك في شكل أجوبة عن أسئلة محددة من قبيل ما الذي يجري توصيله؟ وكيف؟ وإلى من؟ وفي أيّ مناسبة؟⁽¹⁾.

وكان مفهوم الوسيلة أو الأداة عند الوظيفيين يشترط أن اللغة تخدم مقاصد المتكلم وأغراضه، أو أنها وفق ماهي عليه لهدف معين أو غاية محددة، بل إنّ اللغة لا يمكن فهمها ولا حتى شرحها إلاّ من الأغراض التي تخدمها أو المهام التي تؤديها. وكان اكتشافا بالنسبة للوظيفيين (حلقة براغ) أن تختلف أدوات أو وسائل اللغة وتحديدًا بنيتها تبعًا للوظيفة، واللغة نظاما متجانسا بل هي نظام من أنظمة متعددة الوظائف. وتبعًا لذلك ذهبوا إلى أن اختيار العلامة التّواصلية ليس اعتباريا أو خاضع لنظام بنية داخلية قاهرة لكون الغرض يقتضي إيجاد ما يناسبه من الأدوات أو الوسائل⁽²⁾.

1 - اتجاهات البحث اللساني، ميلكا إفيتش، ص 248.

2 - ينظر القضايا الأساسية في علم اللغة، كلاوس هيشن، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة- مصر، ط1، 2003، ص 63-65.

ومن خلال استقراء مجموع النظريات اللسانية، الوظيفة من جهة وغير الوظيفة من جهة ثانية تبين أن لكل منهما ما به يختلف عن الآخر؛ ونركز هنا على خصائص أو سمات - إذا صحّ التعبير - النظريات الوظيفية ونترك مقابلها يُعرف من ذلك (فالأضداد ببعضها تعرف):

أ. اللغة وسيلة للتواصل الاجتماعي، أو اللغة عبارة عن نسق رمزي يؤدي مجموعة من الوظائف أهمها وظيفة التواصل.

ب. لا تدرك بنية اللغات ولا تُعرف خصائصها إلا إذا ربطت بوظيفة التواصل كما أنه لا يمكن وصف خصائص العبارات اللغوية وصفا ملائما دون الاعتماد على الطبقات السياقية الممكن أن تستعمل فيها

ج. القدرة هي معرفة المتكلم للقواعد التي تسمح له بتحقيق أغراض تواصلية معينة باللغة، وعليه يمكن عدّ القدرة "قدرة تواصلية"

د. يتعلم الطفل نحو اللغة من خلال النسق العلائقي (الكامن في اللغة) للأغراض التواصلية بالوسائل اللغوية المناسبة لها

هـ. الكليات اللغوية عبارة عن مبادئ تربط بين الخصائص الصورية للسان الطبيعي ووظيفة التواصل. إنّ الكليات عندهم باختصار صورية - وظيفية.

و. يفرد الوظيفيون في نموذج وصف اللغات مكانا مركزيا لمستوى التمثيل للخصائص التداولية⁽³⁾.

والوظيفة لها مفهومان: الوظيفة باعتبارها دورًا تقوم به اللغة ككل والوظيفة من حيث هي علاقة دلالية أو تركيبية أو تداولية تقوم بين عناصر الجملة ولكن ما يعنينا في هذه المحاضرة هو الوظيفة بمعناها الأوّل. والذي يمكن الانطلاق منه أنّ اللغة عند اللسانيين الوظيفيين تقوم بوظائف متعددة لا بوظيفة واحدة⁽⁴⁾.

3 - ينظر اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط2، 2010، ص15-16.

4 - اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، أحمد المتوكل، ص50-51.

أولاً- وظائف اللغة عند كارل بوهلر (Karl Buhler 1879-1963):

يُعد نموذج بوهلر أول نموذج في عناصر الحدث الكلامي ووظائف اللغة وجودًا في حلقة براغ، وهو نموذج ثلاثي الوظائف.

1. وظيفة انفعالية:

وتُسمى وظيفة تعبير. وهو أنّ اللغة كأداة تضطلع بوظيفة التعبير عن حال المتكلم وموقفه

2. وظيفة إفهامية:

وتُسمى أيضا وظيفة النداء أو المناشدة والاستدعاء، وتبرز في حال وُظف الخطاب أو اللغة لإيجاد سلوك أو موقف على المتلقي أن يتبناه أو يرفضه.

3. وظيفة مرجعية:

وتُسمى أيضا وظيفة عرض أو تمثيل، وتظهر في اللغة أو الخطاب من خلال إحالته على الموضوعات التي تُخبر المتكلم عنها المتلقي⁽⁵⁾.

ثانياً- وظائف اللغة عند رومان جاكبسون (Roman Jakobson 1896-1982م):

بعد أن تعرّض نموذج بوهلر للنقد، وذهابه مذهبا غير مقبول في ظنّه أنّه يجب أن يُنظر إلى وظيفة العرض أو التمثيل أو الوظيفة المرجعية على أنّها الوظيفة الأساسية والضرورية في كل الخطابات، بينما يمكن أن توجد بقية الوظائف بشكل اختياري فقط. وجد رومان جاكبسون أنّه من المفيد الاستفادة مع ذلك من سبق بوهلر في تناول وظائف اللغة، وقد صرّح بذلك فزاد عليها ثلاثة أخرى⁽⁶⁾.

5 - ينظر القضايا الأساسية في علم اللغة، كلاوس هيشن، ص 63-64، ومعجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينيك منغنو وآخرون، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، تونس-تونس، دط، 2008، ص 257، والتواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزبر، ص 19-20.

6 - القضايا الأساسية في علم اللغة، كلاوس هيشن، ص 64-65.

1. الوظيفة الانفعالية:

هذه الوظيفة في الرسالة تتمحور حول المرسل أو المتكلم أو الذات المتلفظة، حيث يعبر فيها المرسل من خلال اللغة عن موقفه تجاه الموضوعات بما فيها المرسل إليه، وعن ميوله ورغباته وحتى حالاته الوجدانية وكذلك الانفعالية من غضب وسرور، وعن صدقه وكذبه، وعن علمه بالشيء أو جهله به

2. الوظيفة الإفهامية:

وتُسمى أيضا الوظيفة التآثيرية وتتمحور هذه الوظيفة حول المتلقي أو المرسل إليه أو المستقبل، وتظهر بشكل واضح ومقصود في عبارات الإلزام من أمر ونهي، وبلاغيا في العبارات في ضوء سياقاتها أو قرائنها اللفظية وغير اللفظية كالاتمساس والترغيب والتهديد. كما تظهر على مستوى الإخبار أو تتجلى من خلال الوظيفة المرجعية. فقولي مثلا "الماء ثروة" أو "الماء ذهب شفاف" وهي جمل إخبارية تفيد وظيفة إفهامية من حيث أن غرضي هو الحرص على المحافظة عليه وعدم إهداره فيما لا يليق به. وخلاصة القول أنّ هذه الوظيفة تتجلى في كونها تأثيراً وإقناعاً وإمتاعاً وإثارة، وإلزاما.

3. الوظيفة المرجعية:

هذه الوظيفة تظهر من خلال ما تحيل إليه اللغة أو الخطاب على الأشياء والموجودات التي نتحدث عنها أو الوقائع، وتكون الوظيفة المرجعية وظيفية تواصلية أثناء التّواصل فدونها لا يتحقق شيئا مما يُسمى وظيفة انفعالية ووظيفة إفهامية، وبها تكون ويكونان وعلى كلّ حال هذه الوظيفة تُركّز على المقام أو السياق، كما تهدف إلى تمثيل العالم وعرضه. وتُعدّ بذلك من أهم الوظائف.

4. الوظيفة الإنتباهية:

وتُسمى وظيفة إقامة الاتصال أو الوظيفة اللغوية، وتظهر من خلال العبارات التي توظف في الخطاب أو الكلام من أجل بدأ الكلام أو إقامة الحوار أو ربط الاتصال وحتى تمديده أو استمراره. وهي عادة ما تكون مفرغة من المعنى أو أن معناها الحرفي أو حتى المجازي غير مقصود. وعليه يصير جزءاً من اللغة ليس من وظيفته الأخبار أو الإحالة على أمر ما من موضوعات العالم أو الواقع أو

طرفي العملية التّواصلية (المرسل والمرسل إليه)، وإنما مجرد كلام لأجل استمرار الكلام أو كلام لأجل بدأ الكلام الذي تظهر فيه بقية الوظائف. ومن أمثلة ذلك "ألو" (الهاتفية)، و "هل تسمعي" وفي غير الخطاب الملفوظ تظهر في حركات اليد والقرع على الأجسام ورفع الصوت وحركة الرّأس، أي كلّ ما من شأنه أن يكون تنبيها وإشارة لبدأ الكلام أو استمراره.

5. الوظيفة الميتالغوية:

وتُسمى أيضا وظيفة ما وراء اللغة أو الوظيفة الماورالغوية أو ميتالسانية أو وظيفة الشرح أو وظيفة تعدّي اللغة أو الوظيفة اللسانية الواصفة أو التفسيرية. وتظهر في إحالة العبارة اللغوية على عبارة لغوية أخرى وهي وظيفة متمحورة حول السنن في ذاته، من حيث أن موضوعها ليس الأشياء وإنما الكلمات من حيث معناها ونظام أو قانون استعمالها. وهذه الوظيفة أهمية في مجال المنطق والنحو وفي مجال الحياة اليومية، فهي إلى حد ما في كلام الناس اليومي تؤمن الاتصال وتُنجحه، بالتأكيد على أنّ طرفي العملية التّواصلية (المرسل والمرسل إليه) يستعملان السنن ذاته.

6. الوظيفة الشعرية:

وتُسمى أيضا الوظيفة الجمالية أو الوظيفة البلاغية، وهي الوظيفة التي تركز على الرّسالة مع عدم إهمالها العناصر الأخرى، وتظهر في الخطاب الدال داخل ذاته، كالشعر والشعارات والأمثال... إلخ والوظيفة الشعرية عند جاكبسون ليست خاصة بالشعر وإنما المهيمنة فيه، كما أنّها توجد في بقية الأجناس الخطابية الأخرى، وهي توجد مع ذلك في اللغات دون استثناء⁽⁷⁾.

لقد انبرى جورج مونان Georges Mounin (1910-1993م) لنقد هذا التقسيم من وظائف جاكبسون بالقول: «إنّ هذه الوظائف الست تخفي وظيفة التّواصل اللغوي التي تمثل الوظيفة الوحيدة للغة، وذلك عن طريق تجزئتها، فما يُسميه وظائف يعتبر استعمالات خاصة باللغة يمكن أن تتواجد

7 - ينظر كل هذه الوظائف في اللغة والخطاب، عمر أوكان، ص 49-53، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، أحمد المتوكل، ص 51-52، الألسنية مبادئها وأعلامها، ميشال زكريا، ص 53-54، التّواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزير، ص 35-52، ومعجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينيك منغنو وآخرون، ص 257-258.

على درجات في كل اتصال. هذه الوظائف المقترحة لا يميز بينها إلا من خلال إشارات سيكولوجية، أو دلالية أو ثقافية، ولا يُسند في ذلك إلى معايير لغوية شكلية حقيقية»⁽⁸⁾.

ثالثاً- وظائف اللغة عند ميكائيل ألكسندر كيركوود هاليداي مختصراً م.أ. ك

Michael Alexander Kirkwood Ou M.A.K (1925-.....)

يرى هاليداي أن الأغراض التي يمكن أن تؤديها اللغة في الاستعمال غير متناهية، كما أنها تختلف باختلاف العشائر الاجتماعية والأنماط الثقافية إلا أن تلك لا تهم جميعها الدارس اللغوي، وما هو يهّمه منها تشترط فيه خاصيتان:

أ. أن تكون عامة في جميع اللغات الطبيعية

ب. انعكاسها في مستوى الخصائص الصورية أو الشكلية للغة، وعليه ما يتوفر فيه ذلك ثلاثة وظائف:

1. الوظيفة التمثيلية:

فاللغة تستعمل للتعبير عما يعيشه المتكلم من واقع سواء أكان خارجياً أم داخلياً، وهي بهذا تُسهم في تحديد رؤية المتكلم للواقع أو تركيب تجربته ومعاناته للواقع.

2. الوظيفة التعالقية:

وهي تعني أن اللغة تستعمل في الوقت ذاته لإقامة العلاقات الاجتماعية، أو الأدوار التي يمكن للمتكلم أن يتخذها تجاه مخاطبه كدور "السائل"، "المجيب"، "الأمر"، "الناهي"، كما تُتيح هذه الوظيفة للمتكلم اتخاذ موقف من خطابه كأن يكون على جهة اليقين أو الاحتمال أو الشك...إلخ.

8 - ينظر معجم أعلام الألسنية (في الغرب)، هيام كريدية، ص251-252، والألسنية رُودوا أعلام، هيام كريدية، ص172.

3. الوظيفة النصّية:

وهي ربط الخطاب بالطبقة المقامية التي يُنجز فيها، وهي وظيفة تسمح للمتكلم بإنتاج خطاب في شكل نص، كما تسمح للمُخاطب المميز بين ما يُعدّ نصاً وما هو مجرد سلسلة من العبارات⁽⁹⁾.

رابعاً- وظائف اللغة عند براون Gillian Brown وجورج يول George Yule:

هناك تمييز شائع بين وظيفتين أساسيتين هما:

1. وظيفة تعاملية: وتركز على نقل المعلومات
2. وظيفة تفاعلية: وتركز على ربط العلاقات الاجتماعية والمحافظة عليها⁽¹⁰⁾.

خامساً- وظائف اللغة (أثناء الشغل):

وهي كما هو واضح من العنوان خاصة في النشاطات أو العمل. إن المرء يتكلم أثناء عمله ليعمل أو ليجعل آخرين يعملون ويظهر أن الوظيفة التمثيلية أو المرجعية أقل حضوراً.

1. الوظيفة الأدائية:

وهي كل العبارات التي تسمح بتنسيق العمل الجماعي، وتنظم الحركات والأفعال لبلوغ هدف مشترك، وعادة ما تكون الأشكال اللغوية محدودة: جمل إسمية، جذف النعوت، قوائم، شعارات، مختصرات... إلخ.

2. الوظيفة المعرفية:

وهي كل الخطابات التي غرضها نقل المعارف والمهارات أثناء أنشطة التكوين والتدريب، لتجاوز خلل أو إصلاح أدلة أو تشغيل برنامج حاسوبي، والشكل المفضل لهذه الوظيفة هو البرهنة والحجاج.

9 - ينظر اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، أحمد المتوكل، ص52-53.

10 - ينظر معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو دومينيك منغنو وآخرون، ص258.

3. الوظيفة الاجتماعية:

من المعلوم أنّ للعمل بُعدًا اجتماعيًا، فالطَّرق الخاصة بالكلام في مصلحة ما أو ورشة أو حضيرة يعمل على وسم هوية المجموعة العاملة في الحيز ذاته، والأشكال المفضلة لذلك هي اللغو والفكاهة والمزاح والثرثرة... إلخ⁽¹¹⁾.

وما يمكن أن نختتم به هذا أن قائمة الوظائف قد تكون غير محدودة، وأنّ المقترحات للنماذج والأشكال قد تبقى غير منتهية، ولكن مع كل ما دُكر من الوظائف أنّها لا تخرج عن الوظيفة الأساسية وهي الوظيفة التّواصلية⁽¹²⁾.

11 - ينظر معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينيك منغنو وآخرون، ص259.

12 - ينظر معرفة اللغة، جورج يول، ص32، معجم أعلام الألسنية (في الغرب)، والألسنية رواد وأعلام، هيام كريدية، ص251، وص172 توالبا، الألسنية مبادئها وأعلامها، ميشال زكريا، ص47، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، أحمد المتوكل، ص55.